٢

ورقة مصرية من كتاب العلم الزائف

- فجأة ظهر شخص اسمه عبد العاطى، ادعى أنه قد اخترع جهازًا لعلاج الإيدز وفيروس سي وبعدها انضمت الصدفية وانفلونزا الطيور إلى القائمة !!، جهاز يحول الفيروس إلى صباع كفته !!، ادعى ذلك بدون نشر سابق فى مجلة علمية وبدون عرض في مؤتمر علمى، وللأسف بدون تخصص طبى فقد كان هذا العالم مجرد فنى معمل مع احترامنا لفنيى المعامل، كل مؤهلاته أنه يقدم برامج دينية على فضائية سلفية !!، كنت أول من كتب متصديًا لأكبر ظاهرة علم مزيف اجتاحت مصر، والحمد لله وفقنى المولى عز وجل من خلال حملة طويلة من المقالات أن يعيد أطباء الجيش فى الخدمات الطبية العلم الحقيقي إلى مكانته، وأن يوقفوا هذا العبث، الذى كان يروج له صاحبه بأنه إنجاز علمى يعتمد على سورة الكهف، سأقدم في الصفحات التالية رصد وتوثيق لهذه المعركة، حتى نعرف كيف يلعب ويحتال العلم المزيف؟، وحتى لا نقع مرة ثانية فى فخ العلم المزيف.

obeikandi.com

هل سنضحى بالعلم والوطن لنحافظ على صورة العالم المزيف؟!

العلم هو طريقة تفكير ومنهج بحث وأسلوب ابتكار وليس مجموعة معارف أو ركام معلومات، والبحث العلمى مثله مثل الزواج الشرعى يلزمه إعلان وإشهار وشهود، لا يوجد في العلم زواج عرفي أو علاقات سرية، لذلك ابتسمت وأنا أستمع إلى المخترع الوهمى وهو يتحدث عن السر الحربي والتكتم العسكرى والاتنين مليار، اللى كانت عايزة تدفعهم أمريكا ثمنًا للاكتشاف، والثلاث عمليات اغتيال التى تعرض لها سيادته... إلى آخر هذا الكلام الذى لا يتفق مع أبجديات العلم ومعنى ومفهوم البحث العلمى الحقيقي، الذى لم يعد يعرف كتمان الغرف المغلقة، ولم يعد يحتمل جو السحرة وصوبة الكهان وأكشن أفلام المافيا، بل صار ينمو في الهواء الطلق وعلى صفحات المجلات العلمية، وقاعات المؤتمرات العالمية، وللأسف صار الدفاع عن صورة هذا العالم المزيف عند بعض المسئولين أهم من الدفاع عن صورة الوطن والعلم، تحول الأمر وتلك هى الكارثة إلى قضية كرامة شخصية، واختلط الذاتى بالموضوعى وصار كل نقد لطريقة البحث وانتقاد لأسلوبه، يعتبر هجومًا على المؤسسة العسكرية، التى نجلها وانتقاصًا من الجيش المصري الوطنى الذى نقدره، على العكس تمامًا فالاعتراف بأن العالم المزيف ارتكب أخطاء رهيبة في طريقة البحث، ولابد من محاسبته عليها ستجعلنا نستعيد الثقة والأمل والحلم والاحترام، المشكلة فى موضوع

جهاز علاج فيروس سي، أن الحوار عنه هو حوار طرشان نتيجة لأننا استيقظنا على كارثة ومصيبة، وهى أننا اكتشفنا أن مصر بمتعلميها ومثقفيها وحتى بعض الحاصلين على الدكتوراهات فيها، يجهلون أبجديات العلم ولا يعرفون معنى البحث العلمى، ويعنى إيه دواء ويعنى إيه علاج، ويعنى إيه شفاء...إلخ، غياب هذه البديهيات عن الأذهان وغيبوبة المصطلحات والتفكير بالتمنى والإحساس الرهيب بالدونية، الذى ولد عدوانية تجاه العلم الذى احتكره الآخرون لأنهم ببساطة اتبعوا قواعده ولم يخونوا مبادئه، كل هذا يجعل من الواجب أن نعود إلى نقطة الصفر ونناقش مضطرين تلك البديهيات التى كتب علينا أن نظل في حرب لتوضيحها، وأن نناقشها بعد أن ظننا أننا قد تجاوزناها، وسنأخذ من على ألسنة الناس والبسطاء والجمهور هذه التساؤلات.

- أول وأهم تلك التساؤلات، هو إحنا ليه في العلم لازم ننتظر ونطيل الانتظار لحد الملل والزهق تجاربًا وأبحاثًا، واتباع إجراءات مش كفاية إن شوية مرضى يقولوا إحنا خفينا على إيد عبد العاطى أو غيره؟!، هذا السؤال هو نفس السؤال، الذى يردده كارهو القانون «لماذا التطويل في المحاكمات والمرافعات وانتظار محاكم أول درجة وتانى درجة، واستئناف ووجوب توكيل محامى للدفاع وصحة إجراءات... إلى آخر تلك الدوشة؟ أليس المتهم معروفة جريمته ومن الممكن أن يكون معترفًا ويوجد شهود كمان؟! ما نعدم ونسجن وخلاص بمحاكم استثنائية في يوم وليلة

وبلاش ملل !!، اتباع إجراءات القانون، التى تراها أنت مملة هى التى تضمن حقك في محاكمة عادلة لو كنت مظلومًا، وليست لحماية المجرم الذى في القفص، نفس الكلام بالنسبة لإجراءات وخطوات البحث العلمى الطويلة والطب القائم على الدليل وليس الظن أو الانطباع الشخصي، كل هذا التطويل والتأنى هو لحماية المريض الذى يرقد بلا حول أو قوة على سرير في مستشفي أو من سيتعرض لتجربة علمية، العلم لا يعرف المحاكم الاستثنائية، ولا يعرف إلا القاضى الطبيعي وطريق البحث الطبيعي والنطق بالحكم الطبيعي أمام ساحة المؤتمرات العلمية والمجلات المحكمة.

- ينفجر السؤال الثانى في وجوهنا إيه اللى يضمن لى الأدوية اللى إنتو بتوصفوهالنا ما هى يمكن فنكوش هى كمان ما تسيبونا نجرب وتسيبوا المصريين يخترعوا دوا وعلاج وبلاش إحباط لعزيمتنا؟!، والإجابة طبعًا كل مصري نفسه وأمنية حياته أن بلده تخترع دواء وتبتكر علاجًا، لكن العالم اتفق أن اختراع الدواء والاعلان عنه، لابد أن يمر بمراحل في منتهى الصرامة ولا حياد عنها، حتى نستطيع أن نطلق على المنتج النهائي الذى هو قيد البحث دواء أو علاجًا، وكما أنك لا تستطيع بيع خادمتك لجارك على أنها جارية احترامًا للمواثيق الدولية فأنت أيضًا لا تستطيع أن تعلن عن دواء لمجرد أنه طق في دماغك واخترعته، من المسموح أن يطق في دماغك أى شيء، ولكن من الممنوع، بل من المجرم

والمحرم أن تسميه دواء إلا بعد المرور من فلتر البحث العلمى المنضبط، وهناك فرق بين الإنجاز العلمى وبين العلم نفسه، فالإنجاز العلمى شخصي، ولكن العلم نفسه لا شخصي، العلم موضوعى جدًا بارد جدًا صارم جدًا، لامنفعل جدًا جدًا، من حقك أن تشطح وتقول لى إن المسحوق، الذى تحتفظ به في جيبك يشفي من السرطان، ولكن ليس من حقك أن تجبرنى على ابتلاعه إلا إذا أجريت عليه البحوث الإكلينيكية والصيدلية المناسبة، ولكن ما هى تلك البحوث والإجراءات والخطوات كما سمعناها وعرفناها من أساتذتنا وسأستعين ببحوث د. سمير حنا صادق، ود. الدنشارى ود. حيدر غالب وآخرين؟.

اكتشفت حضرتك دواء ووجدت أن جيرانك وكل سكان شارعك، بل ومحافظتك كلها بتقول إنها خفت وشفيت على إيديك هل سنعتبر وسيعتبر المجتمع العلمى ما اخترعته دواء؟، للأسف لا، فالكثير من الأمراض تكون أعراضها مما نسميه subjective وليست objective بمعنى أنها ذاتية متعلقة بشخص المريض وليست موضوعية وإحساس الشفاء يكون مجرد وهم شخصي، ولذلك حتى مفهوم الشفاء لابد أن يكون موضوعيًا إحصائيًا منضبطًا غير متروك للأهواء، كذلك وعلى الجهة الأخرى، فإن عدم استجابة بعض المرضي لدواء معين لا يدل على عدم فاعلية هذا الدواء، ومن هنا تأتى أهمية علم الاحصاء فارتفاع الكولسترول مثلاً، لن يؤدى بالضرورة لجلطة في قلوب كل من يعانون منه، وكذلك ليس كل مدخن

بالضـرورة لابـد أن مصيـره هـو سـرطان الرئــة حتميًـا، فالمسـألة نسـبية، وتحتـاج انضباطًـا إحصائيًـا، وهنـا يأتـى السـؤال؛ أليس شـفاء مريـض بعـد أسـبوع نتيجـة إعطائـه دواء معينًـا، هـو بالضـرورة نتيجـة هـذا الـدواء؟، الإجابـة لا ليـس بالضـرورة وهنـا سـنفكر بالمنطـق العلمـى، الشـفاء بعد هـذا الـدواء واحـد مـن ثلاثـة أشـياء:

-إما استعمال هذا الدواء حقق شفاء أو أسرع به.

- إمـا أن طبيعـة المـرض هـى أن يتـم الشـفاء تلقائيًـا بعـد أسـبوع سـواء بعـلاج أو بدونـه.

- إمـا أن طبيعـة المـرض أنـه يشـفى بعد ثلاثـة أيـام وأن الـدواء قـد امتـد بالفتـرة إلـى أسـبوع.

مـن هنـا تأتـى أهميـة خطـوات البحـث العلمـى الطبيـة وانضباطهـا حتـى تحسـم هـذا اللبس، ففـي قصـة فيـروس سـي، علـى سـبيل المثـال، لابـد أن تكـون التجـارب أولاً علـى خليـة ثـم ننتقـل إلـى مرحلـة إجـراء التجـارب علـى الحيوانـات، وهنـا ليسـت أى حيوانـات، ولكنهـا الحيوانـات التـى نسـيجها مشـابه وينفـع لإجـراء التجـارب علـى هـذا الفيـروس مثـل الشـمبانزى، ثـم ننتقـل إلـى التجـارب علـى البشـر، والتـى سـنطرح تفاصيلهـا لكـى نعـرف أن القصـة ليسـت لعبـة ولا جهجاهـون ولا سـمك لبـن تمـر هنـدى !!.

- يأتـى السـؤال الثالـث، الـذى أسـمعه يتـردد فـي الشـارع وفيهـا إيـه التجـارب علـى البشـر، مـا دام حنلاقـي نتيجـة ونتعالـج ونخـف، هـو انتـو لا بترحمـوا ولا بتسـيبوا رحمـة ربنا تنـزل؟!!،

والإجابة موافق على كلامك، ولكن لابد من اتباع الضوابط حتى نحمى حق المريض وحتى نحمى البلد من فضيحة ومحاكمة وعقاب دولى، فبعد محاكمات نورمبرج واكتشاف أن أطباء النازى أجروا تجاربًا على البشر اجتمع العالم المتحضر على وضع قواعد للتجارب الطبية على البشر واعتبار من يخترقها ويتجاوزها مجرم مثله مثل مجرمى الحرب، واجتمع الخبراء والأطباء ممثلو بلادهم في هلسنكى وكتبوا اتفاقية هلسنكى وهذه بعض بنودها :

- يوضع بروتوكول كامل للتجربة توافق عليه هيئة محايدة تدرس أهمية إجراء التجربة، ويتم التأكد من غياب أى خطر على المريض.
- لابد من أخذ موافقة الشخص المرشح لإجراء التجربة عليه، ويجب أن تكون الموافقة واعية ولا يجوز استعمال الأطفال حتى ولو وافق الأهل، وأيضًا لا تجرى تجارب على غير عاقل أو مقيد الحرية، بل لا يصح استعمال مرضي الطبيب، الذى سيجري البحث؛ لأنهم ممكن أن يكونوا مرتبطين به عاطفيًا إلا بعد موافقتهم بواسطة طبيب غريب عنهم.
- لا يجوز شطب دواء معروف التأثير واستخدام دواء تحت البحث، خاصة في حالة الخطر، إلا بعد توافر أدلة قاطعة على أن الدواء الجديد أفضل، ويطبق في هذا إجراء متخصص اسمه التحليل المتتابع.

ما سبق وتفاصيل أخرى كثيرة في هذه الاتفاقية، التى لم تعد وجهة نظر أو اختيارًا أو ترفًا، ولأن ٢٠٪ من تأثير الدواء نفسي؛ لذلك كان ولابد من اختراع طريقة قياس محددة لفاعلية أى دواء يجرى عليه البحث، يجب أن نعطى مجموعة من المرضي الدواء موضوع البحث ثم نعطى مجموعة أخرى ما يسمي البلاسيبو، وهو شبيه محايد، لا يحتوى على المادة الفعالة بحيث لا يعرف المريض إلى أى مجموعة ينتمى، ويكون الطبيب أيضًا لا يعرف المجموعة، التى أخذت الدواء الفعال والمجموعة، التى تناولت البلاسيبو ولا يعرفهم ويميزهم سوى قائد الفريق البحثي فقط، كل هذا لنقلل تأثير العامل الشخصي الذاتى على نتيجة التجربة، ولابد أيضًا من تكوين ما يسمى مجموعة مراقبة تتماثل فيها كل العوامل والظروف مع مجموعة التجربة إلا في العامل موضوع الدراسة، وهذه خطوة في منتهى الصعوبة والأهمية، يعنى مجموعة المراقبة تتفق مع مجموعة التجربة في الجنس والسن والحالة الاجتماعية والقومية والعادات، مثل التدخين وخلافه....إلخ، يختلفون فقط في فيروس سي أو الإيدز على سبيل المثال في حالتنا، التى نتكلم عنها.

هل انتهت المسألة عند هذا الحد، أسمع من يصرخ هو لسه فيه حاجة بعد كل الخطوات المعقدة دى ده العلماء طلعوا روحنا !!، الحقيقة العلماء أنقذوا روحك مش طلعوا روحك، وكل إنجازات الأدوية، التى تعالجك خرجت إلى النور بعد المرور بكل هذه الخطوات، التى تقول أنت عنها معقدة،

ولكـى تكـون نتيجـة البحـث لهـا قيمـة أو مـا يسـمي significant لابـد أن ينظـر فـي النتائـج عالـم إحصائـي، وممكـن بعدهـا يلقـي بالبحـث المضنـى، الـذى ظـل سنين فـي سلة القمامـة وبـكل ضمير مسـتريح، هنـا يتدخـل مـا يسـمى بـالstatistical inference علـم الاسـتنتاج الإحصائـي و laws of propability قوانيـن الاحتمـالات ويخـرج علينـا مايسـمي ال P وهـى نسـبة إذا قـل عـدم الصحـة فيهـا عـن ٥٪ فنتيجـة البحـث تمـر وتعتمـد ويحتفـي بهـا !!، هـل رأيتـم كـم هـو طويـل وشـاق طريـق البحـث العلمـى، وإقـرار الـدواء، ولكـن كل هـذه المشـقة، وكل هـذا التعـب وكل هـذا الملـل مـن أجـل عيـون حضرتـك وصحـة حضرتـك وأمـان حضرتـك !!.

لكـن هـل انتهـت الدراسـات علـى الـدواء عنـد هـذا الحـد؟، لأ لسـه انتظـر قليـلاً فهنـاك مـا يسـمى بـال post marketing study يعنـى بعـد أن ينـزل الـدواء إلـى السـوق ويوافـق عليـه ويسـتهلك ويأتـى بنتائـج مـن الممكـن أن يسـحب مـن السـوق؛ لأن الدراسـات أثبتـت مثـلاً أنـه عمـل جلطـة لعشـرة أشـخاص مـن المليـون، الذيـن اسـتهلكوه فتشـطبه الشـركة فـي غمضـة عيـن، وبـلا أى لحظـة نـدم وهـى التـى صرفـت المليـارات علـى أبحاثـه، لمـاذا؟ لأنهـم فـي بـلاد تحتـرم العلـم وتـدرك جيـدًا أنـه طريـق النجـاة الوحيـد، وأن أى خيانـة لقواعـد هـذا العلـم ومنهـج بحثـه فيهـا نهايتهـم وموتهـم.

- نأتـى إلـى السـؤال المفحـم، الـذى يتـردد فـي كل مناسـبة وهـى؛ لمـاذا تكرهـون الأعشـاب وهـذا بمناسـبة مـا أعلنـه المختـرع عبـد العاطـى عـن قـرص الأعشـاب الـذى يتناولـه المريـض بعـد

جلوسه على الجهاز، وهل ما كتب في الأخبار على لسانه، عندما قال إن ابنه خريج الزراعة صنع تلك الأقراص وطحنها في البيت، وهل نحن لدينا موقف عدائي من الأعشاب؛ لأنها حتوقف سوق الدكاترة وبالطبع كل هذه الأسئلة مخلوطة ببعض الشتيمة عن رشوة شركات الأدوية العالمية التى ترتعد فرائصها من تلك الأعشاب !!، والإجابة هى أن الأعشاب والنباتات الطبية نعمة ربانية وهبة طبيعية، أفسدها البعض على الفضائيات فصارت سلاحًا ضد المريض بعد أن كانت سلاحًا ضد المرض، وطالما نادينا حتى بح صوتنا، نريد أن نفعل مثلما فعل العلم الغربى فى هذه الأعشاب وهو إخضاعها لعلم الصيدلة، الذى جعل من هذه الأعشاب موضوعًا للتجارب المعملية فاستخلصت المادة الفعالة وضبطت الجرعة وحددت درجة السمية، وخفضت الأعراض الجانبية وفصلت عما اختلط بها من فطريات وسموم فتاكة، فقدم لنا علم الصيدلة الكينين المستخدم فى علاج الملاريا من شجر الكينا، والأسبرين من شجر الصفصاف والأتروبين من نبات ست الحسن، والمورفين من الخشخاش، والديجوكسين من أصبع العذراء والإيفيدرين من نبات ذنب الخيل...إلخ، ولذلك طالبنا أن نعطى أهل الاختصاص وهم الصيادلة حق تصنيع وبيع الدواء المستخلص من الأعشاب، فالصيدلى هو المؤهل وليس العطار أو مدرس الألعاب أو واعظ الفضائيات الدينية، الذى يتاجر بشعارات يفرغها من معناها الحقيقي مثل كلمة الطب النبوى أو العودة إلى الطبيعة.

كل من يبيعون الوهم، وآخرهم صاحب القناة الفضائية الشهير، الذى افتتح فروعًا في شرق مصر وغربها أفلتوا من قبضة العدالة، بسبب تقاعس المرضى وخوفهم من المواجهة والذهاب للنيابة للشكوى، إنها كارثة أن يستفحل سرطان الدجل؛ لأننا أدمننا الخرافة والجبن وروجنا لشعار قول يا باسط، واللى حصل حصل واللى راح مايرجعش، وإجرى يابن آدم جرى الوحوش..إلى آخر هذا الكلام، الذى ينقذ رقاب هؤلاء من حبل مشنقة العقاب، بسبب كسلنا واعتبارنا أن هؤلاء قدر لا فكاك منه، كم من حالة فشل كلوى حاد نتيجة سموم الأعشاب، وكم من حالة سرطان كبد نتيجة فطريات الأفلاتوكسين المختلطة بالأعشاب، وكم من حالة تناولت نبات إفيدرا مع بعض مثبطات الاكتئاب فارتفع ضغطها وكادت تهلك... إلى آخر تلك الفوضى، التى جعلت من هؤلاء أنصاف آلهة يستمع إليهم الناس ويكتبون وصفاتهم ويحتفظون بها كالكتب المقدسة، لا ينفع أن تقول هذا شيء طبيعي لتمرره لنا كدواء، لا يصح أن تقول هذا عشب إن لم يضر لن ينفع لتضغط على أعصاب الغلابة الذين يتعلقون كالغرقى بمجرد قشة.

- يقفز سؤال إنتو يا دكاترة كلكم عملاء خونة لشركات الأدوية للمافيا، اللى بتمص دمنا سيبونا بقي نشم نفسنا ونخترع الدوا بتاعنا بإمكانياتنا وفي الذيل، ونهاية السؤال دعاء خاتمته الله يحرقكو ويخرب بيوتكم !!، وأنا أجيب ياريت نروح كلنا ونتحرق فداء لنهضة مصر في كل المجالات العلمية، لكن المشكلة أن تلك الشركات الكبري التى تهاجمونها للأسف

هى التى تصرف المليارات على الأبحاث، وتخضع تجاربها لتلك الخطوات الشاقة التى تحدثنا عنها وشرحناها، وكل ما تنعم به وفيه من أدوية وتطعيمات ووسائل علاجية هى للأسف من صنع تلك الشركات الوحشة الكخة المتوحشة الإمبريالية الصهيونية الصليبية، للأسف ليست التمائم أو الأحجبة أو الطب البديل الذى حصل مخترع الجهاز على شهادته العليا من سيريلانكا، هو الذى أنقذ البشرية ورفع متوسط الأعمار، ولكنه التطعيم ومحلول الجفاف والبنسلين وأدوية الضغط والقسطرة ومخفضات الكوليسترول، ومذيبات الجلطة والكورتيزون والانسولين والفياجرا، وأدوية العلاج الموجه والمضادات الحيوية.... إلى آخر تلك المنجزات، والأمنيات وحدها لن تصنع تقدمًا ولن تجعلنا ندخل السباق ونلحق بهؤلاء ولكنه العمل والجهد والإرادة والتصميم، وليس باللعنات سنكسب السباق ونخترع ونبدع، ولكن بأن ندرس كيف تتصرف هذه الشركات، عندما تتصدى لأبحاث على أدوية جديدة، لابد أن نعرف كم الصرامة وندرس كم الانضباط وتحمل النقد والمراجعة والبحث، فيما نسميه نحن سفاسف وتفاصيل مملة، هذا هو الواقع ولكى نغيره، لابد أن نحترم أدوات هذا التغيير التى ليس لدينا غيرها للإنجاز، وهى أدوات العلم الذى، لايعرف الاستسهال ولا الاستعباط ولا الاستخفاف.

- يصرخ واحد زهقان من هذا اللغط قائلاً صدعت دماغنا بالمجلات العلمية والمؤتمرات الطبية الدولية، كل ده لزمته ايه احنا مش عايزينهم وكله حييجي راكع لنا يشترى الجهاز والدوا طظ فيهم !!، ثانيًا وثالثًا وللمرة الألف ما ينفعش للأسف نسيبهم يخبطوا دماغهم في الحيط، ونطلع لساننا ونقول لهم طظ؛ لأنه ببساطة بدون نشر في المجلات وعرض على المؤتمرات مافيش دوا، لن يستحق أى دواء لقب ووصف دواء إلا اذا تمت هذه الخطوات وإلا فلنعش في كهف مهجور، ونعلن استقلالنا عن الكون ومجرة درب التبانة ونعلنها جماهيرية مصر الكونية المستقلة !!، المجلة العلمية المحكمة، هيئة تحريرها كبار الأساتذة في العالم في التخصص وناشر البحث لا يعرفهم، وهم لا يعرفونه والبحث مقدم بدون أسماء ضمانًا للحيدة والنزاهة والشفافية وقبول البحث، اعترافا بالجدية التى هى الخطوة الأولى لضمان النجاح، أما المؤتمر العلمى الدولى، الذى تشرف عليه الجمعية العالمية فهو يجعل البحث محلاً للمناقشة والتفنيد، وفرز الغث من الجيد والردىء من الصحيح، والعالم الحق هو من ينصت ويستمع، بل ويفرح ويبتهج بهذا النقد، بل بهذا الهجوم ويغير من آرائه ويعدل بحثه، لأنه في النهاية يبحث عن الحقيقة ولاشىء غير الحقيقة.

سألوا أرسطو؛ لماذا اختلفت مع أستاذك أفلاطون فأجاب: أحب أفلاطون كثيرًا، ولكنى أحب الحقيقة أكثر، وأنا أحب

الحقيقـة أكثـر والعلـم أكثـر، ولـن أبالـى بهجـوم أو بفريـق يحسبنى عليـه ويضمنـى إليـه ويسـتغل كلامـى ونقـدى وتفنيـدي، فكلنـا زائلـون، وكلنـا سنرحل وسيظل الباقي هـو مـا أعلنتـه خـلال هـذه الرحلـة القصيرة والمبادئ، التـى تمسكت بهـا خلالهـا، أعـرف أننـى صدمـت أمنيـات القـارئ لكـن الأهـم أننـى لـم أكـذب عليـه أو أنافقـه.

العلم الحقيقي يدخل من الباب والمزيف من الشباك

لـو اشـتريت لابنـك موبايـل هديـة وعليـه باسـوورد لـن تفـك شـفرته إلا إذا مـررت مـن بـاب الشـقة لسـبب بسـيط؛ وهـو أن هـذا البـاب فقـط هـو الـذى عليـه شـريحة فـك شـفرة الباسـوورد، والـذى بـدون معرفتـه سـيظل الموبايـل الـذى اشـتريته بخمسـة آلاف جنيـه، ودفعـت دم قلبـك فيـه هـو مجـرد قطعـة حديـد خرسـاء صمـاء، إصـرارك علـى التسلق مـن علـى المواسـير والدخـول مـن الشـباك أو مـن ثقـب صنعتـه فـي السـقف أو مـن حفـرة تحـت البـلاط... إلـخ، كل هـذا مضيعـة للوقـت وتشـتيت للمجهـود وحـرب خاسـرة؛ لأنـه لـن يعتـرف بهديتـك وسـيظل الموبايـل صامتًـا ينعـى مـن اشـتراه، ولـو كان هـذا الموبايـل بـه إمكانيـة التحـدث مـع الكائنـات الفضائيـة علـى المريـخ !!، المهـم أن يعتـرف بـه كموبايـل أولاً عبـر الولـوج مـن البـاب الوحيـد المخصـص والمختـص بفـك الشـفرة، كذلـك الـدواء وأى وسـيلة عـلاج لـه بـاب ملكـى واحـد فقـط لفـك شـفرته والاعتـراف بـه، وتحويلـه مـن رقـم كـودى إلـى دواء وعـلاج يعتـرف بـه العالـم وتحتفـي بـه الدنيـا وينفـع مرضـي الوطـن والكـون، هـذا البـاب

معـروف، هـذا البـاب ليـس البرامـج التليفزيونيـة ولا المؤتمـرات الصحفيـة، ولا البروباجنـدا الفضائيـة، ولكنـه بـاب المجتمـع العلمـى، العلـم لا يتسلق المواسير، ومـن يقـر ويعتـرف بالـدواء والعـلاج، هـى الأوسـاط العلميـة فقـط، لذلـك مـا يفعلـه الصديـق أسـتاذ الكبـد الشـهير يجلـس فـي الأسـتوديوهات أكثـر ممـا يجلـس فـي بيتـه أوعيادتـه هـو للأسـف الشـديد ضيـاع وقـت ومجهـود، و نفـخ فـي قربـة مقطوعـة، فالبـاب واحـد ومعـروف ومـن يحكـم علـى أبحاثـك ليـس جمهـور المشـاهدين، وإنمـا جمهـور العلمـاء مـن أسـاتذتك وزملائـك وحتـى تلاميذك، المناقشـة العلميـة المفتوحـة للنتائـج وكيفيـة إجـراء البحـث هـى الفيصـل، فلمـاذا نصـر علـى الدخـول مـن شـباك التليفزيـون مـادام لدينـا بـاب شـرعى ووحيـد وواضـح ومعتبـر ومعتـرف بـه اسـمه المؤتمـر العلمـى والدراسـة فـي مراكـز بحثيـة معتمـدة، لمـاذا صـار كل همـك الأسـتاذ الأكاديمـى أن يدافـع عـن المختـرع المزيـف؟، أليـس المختـرع هـو أجـدر النـاس بشـرح اختراعـه؟، لمـاذا اختفـي المختـرع فجـأة وصـارت مهمـة التسـويق الاعلامـى للمختـرع التـى هـى ليسـت مهمـة أسـتاذ طـب علـى الاطـلاق والدفـاع عنـه وهـو لـم يقـدم توكيـلاً لـك بذلـك هـى شـغله الشـاغل فـي كل البرامج التـى اسـتضافته؟، نحـن كلنـا أمـل فـي نهضـة علميـة مصريـة بأيـد مصريـة ولكـن لابـد أن تكـون نهضـة قائمـة فعـلاً علـى أسـس علميـة حقيقيـة، كلنـا نتمنـى مـن كل قلوبنـا نجـاح عـلاج لهـذا الفيـروس اللعيـن وبأيدينـا نحـن ولكـن النجـاح والاعتـراف بـه والأمـان المحيـط بمنتجـه النهائـي هـى مسـئولية وواجـب، وللأسـف لـو شـرحت وكـررت مليـون مـرة فـي مليـون برنامـج عظمـة الجهـاز

لـن يمنـح كل هـذا المصداقيـة العلميـة والاعتـراف الطبـي لـه وأنـت تعـرف ذلـك جيـدًا، لـو أحضـرت بـدلاً مـن ٤٠٠ مريض أربعـة آلاف يتحدثـون عـن التجربـة ونجاحهـا ليـس هـذا طريقًـا علميًـا للاعتـراف بالـدواء أيضًـا، لاينفـع أن تقـول كمـا قلـت منـذ أيـام لتدعيـم نتائجـك أن فكـرة الجهـاز موجـودة فـي القـرآن، فمـن يحكـم علـى فاعليـة الـدواء ليسـت هيئـة علمـاء الأزهـر، وإنمـا هيئـة علمـاء كليـات الطـب !!، لـن يمنـح هـذا الجهـاز العلاجـى قبلـة الحيـاة وتنفـخ فيـه الـروح إلا مـن خـلال مـروره مـن بـاب الوسـط العلمـى الأكاديمـي، والـذى لا أعـرف لمـاذا نؤجـل ونؤخـر ونخشـي الالتحـام بـه وعـرض النتائـج عليـه؟!، لا ينفـع أن نقـول عملنـا كـذا وكـذا وهـذه هـى النتيجـة النهائية بعـد أن وصلنـا إلـى سـطح العمـارة، فلابـد بعـد كل خطـوة وبدايـة مـن البـدروم نشـر النتائـج ثـم الانتقـال بعـد مناقشـتها إلـى الـدور التالـى وهكـذا، الإصـرار علـى نقـل قضيـة الجهـاز العلاجـى مـن سـاحة العلـم إلـى سـاحة الاعـلام، هـى اسـتنزاف لطاقـة هـذا الوطـن واسـتدعاء لمعـارك جانبيـة إضافيـة لمجتمـع مثخـن بالجـراح، البـاب واحـد ومعـروف وعليـه لافتـة مضيئـة، والدخـول مـن الشـباك حتمًـا يثيـر الريبـة والشـك، ونحـن لـم نعـد فـي احتمـال ريبـة ولا شـكوك.

عفواً الطب لايعرف الأسرار العسكرية

نهضـة مصـر الحقيقيـة وتقدمهـا ورفعتهـا، لن تتحقق إلا بسـريان المنهـج العلمـى فـي التفكيـر والعقـول مسـار العصـارة فـي الزيتونـة، كمـا يقـول الفيلسـوف زكـى نجيـب محمـود، لذلـك لـدى أرتيكاريـا مـن

إعلان أدوية أو علاجات قبل أن تمر بكل التجارب والخطوات المعتمدة، والتى تعارف عليها العالم واتفق على معاييرها حتى صارت من البديهيات، ولدى أرتيكاريا أيضًا من عبارة علاج نهائي ولكل الحالات، عظيم جدًا ورائع جدًا أن يساهم الجيش في الاكتشافات الطبية والعلاجية والصحية، كما يساهم هندسيًا في تعبيد الطرق وإنشاء المبانى على أعلى مستوى، ولكن الأعظم والأروع أن تمر هذه الاكتشافات عبر القنوات العلمية العلنية العالمية المعتمدة، كما حدث من قبل مع بعض الأجهزة التشخيصية، وهنا لابد أن نضع أمام الجميع وأولهم أصحاب الاكتشاف العلاجى، والفريق الذى أشرف عليه بعض البديهيات المتعلقة بفلسفة البحث العلمى وليس بتفاصيل الاختراع نفسه :

- لا يوجد ما يُسمى بالأسرار في الطب فالكشف العلمى الطبي لكى يستحق هذا الاسم، لابد أن يكون علنيًا وقد ذهب وولى عصر نعمل العلاج في السر، ونخبئ الأبحاث في الدرج.. إلى آخر هذا الكلام، لابد من النشر في المجلات العلمية المحكمة وأمام المؤتمرات العلمية المعتبرة المحترمة، تتحول الورقة العلمية بعدها إلى وثيقة علنية للمناقشة والأخذ والرد والتفنيد، الأسرار العسكرية عمل شرعى، لكن الأسرار الطبية عمل غير شرعى !، نعم من حق مخترع الصاروخ أن يحتفظ بتفاصيل صاروخه ومن حق مخترع الدواء أيضًا أن يحتفظ بسر الجزئ ثناء اجراء أثأثناء إجراء البحث، ولكن ليس من حق مخترع الدواء أن يحتفظ سرًا بنتائج

بحثه على المرضى، وليس من حقه أيضًا أن يخفي عنا تفاصيل هذه التجارب، وهل اتبع الخطوات العلمية الصحيحة المقننى أثناءها أم لا؟، هذا هو الفرق ولا مجال إذن للقول بأن اسرائيل أو الغرب سيسرق مجهودنا، وإلا لماذا لم نخف حين عرضنا السي فاست التشخيصي في كل مؤتمرات العالم، وتفاوضت الشركات العالمية على شراء حق التصنيع بدون سطو أو سرقة؟!، فكما فعلنا مع جهاز التشخيص، لابد أن نفعل مع جهاز العلاج.

- وزارة الصحة ليست جهة تقييم علمى للدواء ولكنها جهة تسجيل دواء، فالتقييم العلمى مهمة لجان علمية جامعية محايدة، من الممكن أن تشترك مستشفيات وزارة الصحة في الفريق البحثي، لكن تقييم النتائج العلمية إكلينيكيًا وإحصائيًا، هى مهمة اللجنة العلمية المكونة من أساتذة على أعلى مستوى، وهم موجودون بالفعل في لجنة الكبد منذ فترة ومن المهم جدًا، بل من الواجب والفرض والفريضة أن تشرف من خلال مراكز البحث المعتمدة على تقييم نتائج هذا الجهاز.

- من الممكن أن يسأل سائل، لماذا المناقشات في المؤتمرات الدولية، وعرض الموضوع للتفنيد والقيل والقال في المجلات العلمية، لماذا كل وجع الدماغ هذا؟!، للأسف هذا الوجع الدماغى مطلوب، بل هو واجب قومى ووطنى، خاصةً بالنسبة للكشوف الطبية، فعلى سبيل المثال ستطرح أسئلة يستفيد منها مخترع الدواء أو الجهاز مثل فاعليته

على مريض التليف أو المريض القابل للنزف، والفرق في الاستجابة تبعًا للجنس والسن، وهل سنتابع المريض ستة شهور بعد العلاج مثل الانترفيرون، ومدى قدرة المستشفيات على استيعاب المرضى الذين سيحجزون على أجهزة الغسيل الكبدى أو التنقية الكبدية، إن جاز التعبير........ إلى آخر تفاصيل مهمة، لابد أن يناقشها الأطباء ليس من باب الغلاسة أو ممارسة دور عواجيز الفرح، ولكن من باب المزيد من الدقة والأمان والفاعلية.

توقيت الإعلان عن أى علاج وطريقته مهمة جدًا، ولابد من دراستها جيدًا، فليست بالمؤتمرات الصحفية تعلن العلاجات، ولكن بالمؤتمرات العلمية أولاً، فكثير من المرضى سيوقفون العلاج، الذى يتناولونه حاليًا، حتى وإن كانت هناك استجابة انتظارا لهذا الأمل، الذى قيل لهم إنه سيشفيهم مائة في المائة، وهنا مكمن الخطر في الإعلان الاعلامى المتعجل.

أرجوكم تحملوا غلاسة العلم الحقيقي وطريقه الطويل

المجد للعلم على الأرض، فهو طوق النجاة الوحيد في محيط مشاكلنا الهادر وملاذنا الأخير في غابة لا يعيش فيها إلا الأقوى و الأكثر علمًا، علينا أن نتحمل صعابه وتشككه وبروده وصرامته وثقل ظله، علينا أن نتحمل لغة معادلاته الجافة وأرقامه الخرساء، وخلوه من الاستعارات المكنية والزخارف البلاغية، علينا أن نتحمل خلو عباراته من السجع والجناس، للأسف العلم

غلس بعض الشيء ورخم أحيانًا؛ لأنه لايدللنا ولا يدلعنا، ويصر على أن الجنة على الأرض من صنعنا نحن، ويكرر ويلح على أن رداء الفردوس من نسجك أنت، وأنهار عسله ولبنه نتاج بذرك وحصادك أنت، للأسف العلم يقول دائمًا، ربما وأظن ويمكن ومش دايمًا وأحيانا ونسبيا، يعنى باختصار بيخنقك في حين أنك تتمنى من يقول لك كل طلباتك أوامر، وأنت تؤشر بس يا بيه، وعندنا من الإبرة للصاروخ واحنا بتوع كله.... إلى آخر دلع التفكير الأسطورى، ومرجيحة التفكير الخرافي التى تهدهدك، وتقول لك ياولدى نام نام، وأدبح لك جوزين حمام !، في المؤتمر العلمى لن تجد التلميذ يحترم أستاذه إلا بقدر الصدق العلمى الذى يمنحه له، أما إذا أخطأ الأستاذ فسيراجعه التلميذ، ويمكن ينهره ويخطئه والأستاذ سعيد مبتهج فرحان؛ لأنه سيراجع أخطاء بحثه ويعدله ليصبح فتحاً جديداً ! لا غرابة ولا دهشة في ذلك بل هذا هو العلم، لن تجد في المؤتمرات العلمية الرتب الهرمية، ولا الأوامر العسكرية يعنى باختصار من الممكن وعادى جدًا أن يصيب الملازم ويخطئ اللواء !، من لا يستطيع تحمل هذه الغلاسة العلمية، لن ينجح في الإفلات من سجن الجهل والتخلف، من يريد المكسب السريع ومدح المؤتمرات الصحفية التلميعية سيخسر حتما، من يريد أن يصل إلى كندا عن طريق شارع شبرا الجانبي، سيظل يدور في دائرة المتر في متر التى يسكنها، والتى حتما ستتحول إلى قبر يدفن فيه، لابد أن تتحمل طول طريق العلم ومسافته المجهدة المتعبة، التى لابد أن ترى في نهايتها بقعة الضوء، لا يمكن أن تقول أنا اخترعت دواء إلا

بعد تجربته على مراحل بداية من الحيوانات، وانتهاء بالإنسان وأثناء التجارب تقارن بمجموعات ضابطة، وتحدد مدى السمية والفاعلية والأعراض الجانبية، ثم تنشر بحثك في مجلة علمية ثم تعرضه في مؤتمرات دولية ثم تنتظر تقييم اللجنة العلمية المحايدة، ولجنة الدواء والغذاء... إلخ، طريق طويل لكنه هو الطريق الوحيد، الذى عليه لافتة طريق السلامة أما من اختار طريق الندامة أو طريق اللى يروح ما يرجعش فلا يلومن إلا نفسه.

حتى لايتحول الذهب الى كفته

د. مصطفى السيد عالم جليل أحترمه وأقدره وأفخر به، ولكنى مندهش من أنه وقع فى هذا الفخ الإعلامى وانساق للدوران فى ترس التفكير المصرى، الذى لا يحترم العلم بل يكرهه، لماذا يُصاب العلماء، الذين لمعوا فى تربة العلم الغربية الخصبة بهذه العدوى المصرية الفيروسية، التى تصيب المنهج العلمى بالجدب والعقم وتجعلهم يتركون نهر العلم النظيف إلى بركة الخرافة الآسنة؟!، هناك بعض الأسئلة، التى يجب أن أطرحها على د. مصطفى السيد حتى لا يتحول عبد العاطى إلى منهج حياة وأسلوب علم ومنهج بحث، وحتى لا يتحول الذهب إلى كفته :

هل أجرى د. مصطفى السيد تلك التجارب على البشر فى أمريكا، مثلما سيجريها فى مصر؟، وإذا كانت لم تطبق وتجرى وتستكمل فى أمريكا، فلماذا سارع إلى تجريبها فى مصر على البشر، كما ذكر الخبر المنشور بأن وزارة الصحة وافقت وستجرى التجارب.

- هـل يسـتطيع د. مصطفـى أن يعقـد هـذا المؤتمـر الصحفـى قبـل phase ١ أى المرحلـة الأولـى للتجـارب علـى البشـر، كمـا فعـل هنـا فـى مصـر، أقولهـا وأنـا متأكـد أنـه لا يمكـن أن يعقـد مؤتمـر صحفـى ولا إعلامـى ولا تغطيـه كاميـرات الفضائيـات بهـذا الشـكل الإعلانـى الفـج فـى أى بلـد تحتـرم نفسـها علميًـا، هـذا الـكلام والسـلوك مسـتحيل، فأمريـكا وأوروبـا وأى بلـد تحتـرم العلـم وتحتـرم نفسـها تعتبـر أن هـذه الضجـة الاعلاميـة هـى جريمـة لا أخلاقيـة ولاتنتمـى للعلـم ولا للبحـث العلمـى بـأى صلـة، وعيـب وحـرام أن يعقـد مؤتمـر صحفـى بهـذا الشـكل يتحـدث عـن تجـارب مـا زالـت قيـد البحـث وليـس لهـا أى مـردود ملمـوس ومعتـرف بـه علميًـا.
- مـن سيحاسـب علـى ترويـج تلـك الأوهـام الزائفـة وسـقف التوقعـات الـكاذب، وبحـث المرضـى وأسـئلتهم وطلباتهـم فـى عيـادات الأطبـاء مـن الآن عـن عـلاج الذهـب، وتأجيـل بعضهـم لطـرق العـلاج المعتمـدة بحجـة انتظارهـم لهـذا العـلاج؟!.
- كيـف تصـرح سيادتك بـأن العـلاج آمـن، وأنـت لـم تجـر تجـارب phase ١ التـى مهمتهـا الأساسـية معرفـة الأمـان وبعدهـا مرحلـة أخـرى لمعرفـة مـدى سـمية الـدواء؟، وهل إجـراء التجـارب على ١٤ حيوانًـا بنسـبة ٥٠٪ تعنـى نجـاح الـدواء، الذى مـن الممكن أن يكـون ناجحًـا فـى الحيـوان وفاشـلاً فـى الانسـان بل وضـارًا لـه؟!.
- هـل لدينـا قانـون ينظـم إجـراء تلـك التجـارب علـى البشـر؟، أنـا لسـت ضـد التجـارب الاكلينيكيـة علـى المصرييـن، ولكـن بشـرط

أن تمـر بنفـس المراحـل، التــى يمـر بهــا الأمريـكان وبنفـس درجـة الانضبـاط، وبنفس القانـون الـذى هـو غائـب عـن مصـر تمامًـا وبـح صوتنـا بالمطالبـة بـه؟!.

- السـؤال الأخيـر للدكتـور عـادل عـدوى: كيـف منحـت الموافقـة للدكتــور مصطفــى السـيد وتحـت أى بنـد، وتحـت مظلــة أى قانـون فـى نفس الوقـت، الـذى تمنعهـا فيـه عـن أطبـاء كثيريـن وهيئــات بحثيــة كثيـرة؟، هـل لأن المعالـج بالذهـب يرتـدى برنيطـة أمريكيـة مـع كامـل الاحتـرام لشـخصه وعلمـه؟، وهـل لا يعـرف الوزيـر أن العـلاج الموجـه للسـرطان، علـى سـبيل المثـال، اسـتغرق عشـرين سـنة مـن البحـث المضنـى حتـى خـرج إلـى النـور، وأن هنـاك نوعيـات منـه بعـد أن تخطـت مرحلـة رقـم واحـد واثنيـن ألقـى بـه فـى سـلة المهمـلات؛ لأن المقارنــة بينـه وبيـن فاعليـة الأدويـة الموجـودة أثبتـت أنـه أقـل فاعليـة وخسـرت تلـك الشـركات ملياراتهـا، ولكنـه العلـم وخطـوات العلـم التـى لا يهمهـا إلا الحقيقـة العلميـة فقـط وفائـدة المريـض وأمانـه فقـط.

- أخيـرًا أعـرف أن الكثيريـن سـيصفوننى بأننــى أضـرب كرسـيًا فــى الكلـوب وغـاوى تحطيـم لآمـال النـاس وأحـلام العلمـاء، ولكـن فرقًـا كبيـرًا بيـن الحلـم والوهـم، ولابـد أن نتعلـم مـن أخطائنــا، و كل غرضــى وهدفـى أن نحتـرم الطـب القائـم علـى الدليـل وصرامـة المنهـج العلمـى فـى البحـث وعـدم بيـع الوهـم للمرضـى، وفـى النهايـة لا يلدغ المؤمن من سـيخ كفتـه مرتين !!.

العلم المزيف واهمال علم الاحصاء الطبي

ما زلت أتذكر صديقي ودفعتى في كلية الطب، الذى بعد أن تخرج وجدناه يقرر أن يستكمل مستقبله في علم الاحصاء الطبي، ويهجر الطب العلاجى والعيادات والمستشفيات، كان يحدثنا عن فهم الدراسات الوبائية، وجمع المعطيات وعرضها وتلخيصها، والتوزيع الاحتمالي، والخطأ المعياري، ومجالات الثقة، ومقارنة المتوسطات للعينات الكبيرة والصغيرة، واستعمال التحويلات الرياضية للمعطيات المدروسة والارتباط، والطرائق المبنية على الرتب، والجداول الاحتمالية، وأخطاء القياس، وكيفية اختيار الطريقة الإحصائية، كنا نفتح أفواهنا وكأنه يتحدث عن طلاسم سحرية، كنا نقول له وقتها؛ ياعم احنا عايزين ننجز الرسالة وانت قاعد تكلمنا باللاوندى، سخرنا حينها من اتجاهه وأشفقنا عليه كيف يهجر جنة الخمسة عين ويذهب إلى جحيم الأرقام والمنحنيات والأعمدة، طبعًا اكتشفنا بعدها أن الخمسة عين في مصر، وهم مثل وهم الحب الأول وأن تخصصه لا يقل بل أحيانًا يزيد عن أى تخصص علاجى وأن ندرته في مصر وإهماله والتعامل معه على أنه زائدة دودية جريمة وكارثة ومصيبة، سافر صديقي إلى فرنسا ومنها إلى أمريكا، حيث تم تقديره وتقدير تخصصه، عرفت وتأكدت بعد دراسة مسيرة زميلى ودفعتى وبعد مراقبة كل من تخصص في هذا العلم المهم أننا أمام كارثة حقيقية، معظم الأبحاث ورسائل الدكتوراه المتراكمة على أرفف كليات الطب والكليات العلمية الأخرى عندنا تعانى

من أنيميا إحصائية، تشكو من عوار إحصائي، رسائل تايوانى ملفقة مضروبة، ألخص لكم ما يحدث للأسف في كليات الطب وأرجو ألا يغضب أصدقائى الأطباء، عالم الإحصاء الطبي، الذى لابد أن نضعه فوق رءوسنا وفي عيوننا وظيفته بالنسبة لدكاترة المستقبل وأساتذة الجيل ملفقاتى !!، للأسف أقولها وأنا حزين، يقول له صاحب الماجستير أو الدكتوراه التالى بنفس الألفاظ «عايزك تقلوظ لى الرسالة» أو «عايزك تظبط النتايج» أو «شوف ده اللى أنا طلعته وقدرت أعمله همتك معايا بقى تركب الشامى ع المغربي وتجيب أبو قرش على أبو قرشين لغاية مالرسالة تعجب المناقشين» أو «عشان خاطرى شفي لي الرسالة» من تشفية اللحم وليس من الشفاء !!، يعمل الباحث شغله على عشرة مرضى مثلاً والمطلوب مائة خلاص نضرب في عشرة وننقص من هنا ونحط على هنا، وناخد الجذر التربيعي من هناك ونرسم كيرفات ومنحنيات ورسم بيانى معتبر واستلم الرسالة بيضة مقشرة، وادفع المعلوم واعمل الحفلة ووزع الجاتوه وعلق الشهادة على الحيطة وبلاهه بحث علمى وبلاهه تقدم علاج !!، كيف سنتقدم طبيًا وعالم الإحصاء الطبي نتعامل معه بهذه النفعية؟، كيف سنتغير وموضوعات الرسائل مهروسة ومنداسة من قبل ومفبركة بواسطة المفبركاتى حاليًا أو عالم الاحصاء الطبي حاليًا، والذى نهينه بأن نضعه في هذا الخندق النفعى الهزيل، وبعدها نقول اختراعات واكتشافات!.